صـــديقها عشيقها

رواية مصرية عصرية فى فصـــل واحد

للكاتب الروائى الأستاذ محمد خورشيد

أشخاص الرواية

فايد بك عمره ٢٨ سنة — فتى راق واوث بيت مجد وثروة واسعة
احسان بك « ٢٥ سنة — صديق فايد ذكى متهكم ماكر
مختار بك « ٦٠ سنة — اعزب . صديق حكمت الصدوق
حكمت هانم « ٢٧ سنة — ارملة رجب باشا . فتاة راقية غنية
سميرة هانم « ٢٥ سنة — صديقة حكمت من عهد الدراسة
خادم فايد بك . . . . . .

غرفة المكتب بمنزل فايد بك يصلها باب فى الصدر بهو المنزل ، والى اليسار باب آخر يفضى الى باقى الغرف . الى اليمين مكتب فاخر ومكتبة زاخرة بالكتب المجلدة تجليدا ثمينا — وأمامهما كنبة ثلاثة — وأمام هـــذه الكنبة منضدة عليها صندوق سجاير ومنفضة من الفضة — وحولها كراسى — جميع القطع من خشب «الموجنة» مكسوة بالقطيفة الحمراء . وفى وسط الغرفة سجادة ، والطابع العام الأناقة واجتناب الكظة وحسن الجمع بين الألوان .

الوقت عصر .

المنظر الاول

« يرفع الستار عن مختار واحسان واقفين جهة اليمين بين الكراسى وفايد واقفا جهة اليسار قريبا من باب مفتوح قد وقف بعتبته خادم »

فايد — « يخاطب الخادم » ضع الملابس التى ذكرتها لك فى الصندوق ، ولما تصل الى الاشياء الصغيرة : اربطة الرقبة والمناديل وما يشابهها ، اخبرنى لأجىء وأختار منها ما أريد .

ذاهلون عن انفسهم غائبون عن رشدهم وقد اسرتهم كلماته وسحرهم بيانه ، فهم يلهثون من فرط السرور . ولما فرغ من وصف اغواء ابليس وفتنة الفسوق وسحر المرأة لعن ابليس ثم غادر المكان واختفى وراء بابه .

فلما خرج من صومعته فى صباح اليوم التالى لم يجد راهبا واحدا فى الدير . فقد انطلقوا جميعاً مسرعين الى المدينة !!

محمود البدوى

الخادم — سمعا وطاعة سيدى . « يخرج ويغلق الباب خلفه »

فايد — « وقد ذهب الى حيث احسان ومختار » اهلا مختار بك ! مساء الخير ! مساء الخير يا احسان ! تفضلا

« يردان تحيته ثم يجلس ثلاثتهم . يقدم فايد صندوق السجاير فيأخذ كل منهما سيجارة ويشعلها ، ويأخذ هو سيجارة لنفسه ويشعلها . »

« يبدأ مختار الحديث فيقول : »

مختار — أخبرنى احسان بك انك ستسافر هذا المساء الى استامبول ، فاستغربت ، أولا لأنك كنت قد قررت ألا تسافر هذه السنة ، وثانيا لأن فصل الصيف أوشك ان ينتهى . نحن الآن فى أواخر شهر يوليه ، خير ان شاء الله ! ما الداعى للسفر بغتة ؟

فايد — شعورى بضعف ، وحاجتى الى تبديل الهواء

احسان — لاضعف هناك ولا خلافه . لابد من سبب تخفيه واظننى ادركته

فايد — « ينظر الى احسان نظرة عتاب ويقول : »

قد يعتقد مختار بك الآن ان السفرى سببا اخفيه ، مع ان الحقيقة هى ماذكرت . نعم كنت قررت الا اسافر هذا العام ، ولكن حر الصيف جاء فوق المألوف فأضعفنى وشعرت بضرورة الفرار منه ، لذلك عزمت على السفر الى استامبول لأمكث بها شهرى أغسطس وسبتمبر ، ثم أعود فى اوائل اكتوبر حين يصبح جو القاهرة محتملا . وقد حجزت لى محلا بالباخرة التركية التى ستبرح الاسكندرية غدا . . .

مختار — ومنعك استعدادك للسفر عن الحضور ليلة امس لقضاء السهرة بمنزل حكمت هانم ، فسألتنى عنك فأجبتها انك لابد حاضر ، ولكنك كذبتنى ولم تحضر

فايد — ارجو المعذرة ، كنت عازما على الحضور ولكن خانتنى الوقت . فلم أكد أفرغ من ترتيب أمورى مع الكاتب والخدم اثناء غيابى عنكم حتى كان الليل قد انتصف

مختار — كنت اظنك مغتبطا بصداقة حكمت هانم التى رحبت بك وخصتك بكثير من عطفها ، وكانت دائما تدعوك الى سهراتها البديعة البهيجة . كنت اظنك مثلى قد بلغ بك الاخلاص فى الود الى درجة لاتستطيع معها فراقها ، ولكن يظهر ان قلبك لم يقدر صداقتها كما يقدرها قلبى ، لذلك سمح لك ان تسافر وتحرم رؤيتها شهورا عدة ، بينما لا يمكن لقلبى ان يسمح لى ان احرم

منها يوما واحدا . ولكن لا بأس فى ذلك ، فلكل منا ميله وشعوره ، وكل ماألومك عليه أنك لم تحضر عندها ليلة أمس ولم تستأذن منها فى السفر . لاتؤاخذنى يافايد بك . أنا الذى عرفتك بها وقدمتك اليها كولدى العزيز وأنت تعلم مكانتها عندى .

فايد — انى آسف اشد الاسف لأنى لم أتمكن من الذهاب اليها ليلة أمس وتوديعها وشكرها على ماغمرتنى به من عطف ، وسأمر مساء اليوم فى طريقى الى المحطة وأترك لها بطاقة اذكر فيها اسمى وشكرى ووداعى .

مختار — هذا حسن ، ولكن الأحسن منه أن تذهب اليها بعد نصف ساعة . لأنها ستنتظرنى للشاى فى الساعة الخامسة والنصف والساعة الآن الخامسة : فتعال بعد نصف ساعة نشرب الشاى معا ثم تستأذنها فى السفر وتنصرف . لديك من الوقت متسع ، فان القطار الذى سيقلك الى الاسكندرية يتحرك فى تمام الساعة السابعة

فايد — آسف لايقدر الأنى فى انتظار من لابد لى من مقابلتهم قبل سفرى . أرجو أن تشرح لها عذرى ، وان تحتفظ لى بصداقتها التى لها عندى ارفع منزلة . وان وجدت بعد عودتى ان مكانتى عندها لم تتغير ، أعدك انى حينئذ ابذل قصارى جهدى لأكسب عطفها ورضاها .

مختار — ليكن ، سأجتهد فى فعل ماتريد

احسان — تصريحك يامختار بك بأن لابد لك أن تراها كل يوم يبرهن على ان لصداقتها مكانة رفيعة عندك

مختار — صداقتها هى غاية حياتى ، هى قوتى ، هى هنائى . تقابل كل يوم اما للغداء أو للشاى . هذا اذا لم اقض سهرتى فى مجلسها السعيد .

احسان — اقديمة معرفتك بها؟

مختار — عرفتها منذ خمسة اعوام عندما تزوج منها صديقى المرحوم رجب باشا . فاستولت على قلبى بصراحتها وسامى عواطفها . فلما توفى الباشا زوجها شاركتها فى احزانها ، وبذلت جهدى فى التخفيف من آلامها . ودأبت على خدمتها فى خضوع واخلاص حتى اتخذتنى صديقا لها وكشفت لى عن قلبها فرأيت العفة والكمال والطيبة وحسن الخصال والعطف والحنان ، والآن مضى على عامان وانا سعيد بصداقتها واثق من أخلاصها ووفائها

احسان — الا ترغب هى فى الزواج ؟

مختار — كلا . وقد صرحت لى انها ستبقى وفية لذكرى من احبته وأحبها ولن يكون لها زوج غيره

احسان — إذن لا بد لها من عشيق تهواه

مختار — ماهذا الكلام ؟ ! حكمت هانم يكون لها عشيق ؟ ! هى مثال العفة والفضيلة ؟ ! . .

احسان — لكنها يابك فى عنفوان الشباب وكمال الصحة . وللحب على الشباب نفوذ ، كما ان للطبيعة على الصحة سلطانا

مختار — الصداقة عندها قهرت الحب ، والعفة تغلبت على الطبيعة .

فايد — احسان يجهل قوة الصداقة وسلطانها على القلوب . أنه فتى مادى ، فلاتتعب نفسك معه .

احسان — على كل حال لا يستطيع مختار بك أن ينكر انها ذات دلال . وانى وان لم أكن من احصائها لى بها معرفة ، وقد سبق ان زرتها ورأيت بعينى دلالها

مختار — لاانكر انها ذات دلال ، ولكن دلالها حلو : دلال كله طيبة ، دلال خلا من المكر والخداع . دلال النساء قوامه الحياء عادة : دلال يخفى اغراضا مقصودة ، دلال اثيم ، دلال مصطنع : أما دلال حكمت هانم فقوامه الصراحة ، لاغرض له سوى ملاطفة الاخصاء . دلال برىء ، دلال طبيعى . خلقت ذات دلال فلا يجوز لانسان ان يلومها على دلالها ، كما لايجوز له ان يلوم وردة على عطرها

احسان — ان اعجابك بها لاحد له ، لكن اصغ لى . كل فتاة فى مثل جمالها ودلالها لابد ان يكون لها عشاق كثيرون ، فكيف تعتقد أنها بغير عاشق ؟

مختار — قد يكون لها عشاق ، لكنى واثق من انها لم تعشق احدا منهم . الا تعلم ياحسان بك ان ذوات الدلال لا يفرطن فى عفتهن مطلقا . وان كل واحدة منهن تسعى بدلالها وراء غرض واحد : هو ان تحوز الاعجاب وتثير الرغبة . لذلك لا تجود حتى بقبلة واحدة لتبقى دائما موضع الاعجاب ومثار الرغبة

احسان — نظريتك غريبة ! اتحرم نفسها الحب لتبقى مرغوبا فيها ؟

مختار — شاءت المقادير ان تتكلم ذوات الدلال على عتبة الحب والباب مغلق !

احسان — وان فتح الباب ؟

مختار — لايفتح لهن ابدا !

احسان — لنفرض انه فتح

مختار — تكون معجزة

احسان — فلتكن . الا تعلم يامختار بك ان الحب قادر على هذه المعجزة ؟ الحب هو الذى يشفيها من الدلال

مختار — سبحان الله يا احسان بك ! قلت لك إنها لا تحب ولن تحب، وستبقى وفية لذكرى زوجها الذى أحبته ، انى أكثر علما بها وبعواطفها منك ومن كل الناس . لقد استعاضت عن الحب بالصداقة ، ووجدت فى خلا وفيا وصديقا صدوقا. بالساعات السعيدة التى نقضيها معا !! ساعات تتجلى فيها الصداقة بأعلى واجمل معانيها . ذكاؤها وسرعة خاطرها يعادلان جمالها ودلالها، حديثها ينم عن طيبة قلبها ووفائها ، ولصوتها رنات عذبة هى أشبه بنغمات روحانية تبعث الامل فى الفؤاد . اذا تحاورنا تم فكرى بنفس الالفاظ التى تحوم حول شفتى ،أو تجيبنى بما يولد فى نفسى طائفة من الافكار الطريفة . نصف كلمة منها تنبئنى أكثر من جملة من غيرها ، لأننا تعودنا أن نفكر معا . تعلم كل ما يجيش بصدرى من شعور . وادرك كل ما يتخلل نفسها من ارادة . نحن مخلوقان يتمم كل منا الآخر .

أحسان — لانزاع فى ذلك . صداقتكما لاينكرها الا مكابر

فايد — ولانزاع فى ان الصداقة عاطفة اثبت من الحب، لأنها ترتكز على انقى مافى النفس — على الجزء الروحانى منه

مختار — « وقد نظر الى ساعته » : ازف الوقت . اسمح لى يافايد بك . اريد ان اذهب الى مكتبة سكر لاشترى كتابا طلبته منى حكمت هانم ثم آخذه معى اليها . سأحضر الى المحطة هذا المساء لوداعك

فايد — «وهو يشيعه الى الباب » . لاتكلف نفسك . ارجوك

مختار — لا . . . . . هذا واجب .

احسان — « وقد لحق بمختار ومد له يده » . الى الملتقى

مختار — « وقد اخذ يده » الى الملتقى

« ثم يحيى احسان قائلا بالى هذا المساء . . . « يخرج »

المنظر الثانى

فايد — احسان

احسان — ياله من غبى! غبى تماما سابح فى خياله، غارق فى احلامه

فايد — مالك يوله ؟ . دعه فى اعتقاده . صداقة حكمت هى نبراس حياته . فى سنه تلعب الصداقة دورا هاما

احسان — دورا يعمى ! النهاية ، دعنا منه . . بلغنى انك غاضبتها . اصحيح ؟

فايد — غاضبت من

احسان — غاضبت الحبيبة المحبوبة ، غاضبت حكمت هانم .

فايد — كيف علمت ذلك ؟

احسان — كل القاهرة تعلم ذلك . كل القاهرة الا واحدا . . . سعادته . . « ويشير الى الباب الذى خرج منه مختار . »

فايد — كل القاهرة ؟ اشكرها على اهتمامها بشأنى . آه ! فهمت الآن لماذا اتيت . جئت تدرس نفسى لترى وقع الألم عليها . لكن ياعزيزى ، صدقنى أنى لاأتألم . لاأتألم الآن . ربما تألمت غدا . وربما بعد ساعة ـ لكن الآن لا اشعر بأقل ألم . بلغ ذلك من فضلك كل القاهرة .

احسان — يصل ! . . . .

فايد — بل انى أشعر بسعادة . نعم انى لسعيد الآن . حريتى ردت الى . أصبحت طليقا اذهب حيث اشاء متى اشاء ومع من اشاء . اصبحت غير مضطر الى تقديم بيان عن جميع حركاتى وسكناتى — يوما بعد يوم وساعة بعد ساعة — غير مقيد بموعد لا يمكنى ان أخلفه ولا ان أتأخر عنه ، لا . . . لا . . . كنت مستعبدا ! . . .

احسان — ضعفك امامها هو الذى مهد لها سبيل التسلط عليك، أين ذهبت قوة ارادتك ؟

فايد — ألمن يحب قوة ارادة ؟ لابد انك احببت ياحسان وتعلم . . .

احسان — احببت مرة واحدة . كنت فى الخامسة عشرة من عمرى . والتى احببتها كانت خادمة فى بيتنا تدعى خضرة . عيناها الناعستان سحرتا فؤادى . خصرها النحيل أطار لبى ، فاصبحت طوع امرها ،تسلطت على ففقدت ارادتى . صدقت يا فايد ! يستحيل على من أحب ان يعصى لحبيبته امرا . لكنى كنت فى دور المراهقة ، ومنذ أصبحت رجلا لم أحب مطلقا .

فايد — ذلك من حسن حظك

احسان — ربما ! لكنى على كل حال لست فارغا للحب . . . مثلك . انى اهتم كثيرا بالعلوم والفنون الجميلة .

فايد — الحب علم وفن وله فائدته وجماله .

احسان — ابدا لا فائدة فى الحب ولا جمال ،اللهم الا اذا اعتبرت الألم فائدة والمنكر جمالا .

فايد — وماذا يدرى عن الحب من تنحصر معرفته به فى حبه لخادمة ؟ مسكين يا احسان ! لم تحب فتاة راقية . لم تحب على الأخص فتاة تبادلك الحب . والا لعرفت أن الحب هو هبة النفس كلها ... كلها ... بلا تروٍ ولا تبصر . هو اندماج تام لنفسين . هو ائتلاف كامل لقلبين . هو صلة بديعة عذبة تمزج بين روحين وتشرق عليهما لا يفصلهما شىء مطلقا .

(البقيه على صفحة ٣٩)